محاط بموتى
قصة قصيرة داخل مستودع الأموات
إبراهيم قزانكي

محـــــــاط بمـــــوتى

قصة صغيرة داخل مستودع الأموات

مجموعة القصص الصغيرة

المؤلف إبراهيم قزانكي.

اهداء

الى تلك الروح الساكنة في قلبي، إني لن أنساك أبداً ولو مرت آلاف مؤلفة من السنين.

تقديم

كان يجب عليا أن أفعل أي شيء في الحياة إلا أن أخطو تلك الخطوة السافلة، التي جعلت مني شخص مجنوناً، هل كنت تسمعني حقا ... حينما أتساءل مخاطبا نفسي: من أنا ؟ ثم من أنا ؟ ... انني لا أعرف حتى من أنا، ببساطة انى مجرد سافل لا أكثر، سافل لا يكترث لأي شيء ما عادا المال لا أكثر، ثم تسألني نفسي: هل أنا حقا كاتب، هل أنا مؤلف روايات، ببساطة أنا مجرد نكرة، لا أكثر، فلا تظن يوماً أن إبداعي سيصدع إلى غيابات أقصى بلاد العالم، أو أني سأحقق كل ما أريد، أم أني مجرد أحمق يتمنى أن يحقق أهداف يحلم بها فقط.

إنها مجرد هلوسات نتاج يوم أو ربما يومين، فقط أنا أكتب ما في نفسي... كنت أريد أن أتحدث عن شخصية خيالية قد سافرت الى بلاد خيالية عن طريق الصدفة، أو ربما عالم أخر، أو حتى سيرة ذاتية لولد ازداد في بلاد الروم وعاد الى بلادنا وأضحى يميز بين كل تلك الاختلافات، أو ربما أرض أخرى تتحدث فيها فتاة عن اكتشافها لأرض جديدة، ربما كتاب تقرئه يقلب حياتك رأس على عقب، لكونه مسكونا، أو ربما تحفة أثرية مسكونة...

غرفة صغيرة في منزلكم تكتشفها عن طريق الصدفة، لا يعلم عنها أحد شيء قد شكلت نواة ذلك التحول السافل الذي تعيشه نتيجة فضولك ... أو ربما رواية تتحدث اليك وتقول لك إقرأني انها كلها أحداث بائسة قد تكلم عنها الجميع، لا أجد فيها بارتي ولا أجد فيه أي نوع من الجديد، ربما حتى تقديمي هذا يبدو مملا، ولو كان مغايرا ينتقد ابداعات الأخرين التي لم اصل اليها لكنها تبقى غبية قد انتقلت أغلب أحداثها بين هواة الروايات، الكل قد أضحى كاتباً حتى أنا...

إن فلسفة الذات السافلة واليقين الراسخ بما نحن عليه من فشل ذريع سيقودنا الى اللامبالاة غالبا، أم أن تتبع تلك النصائح الروتينية التي يدعي البعض بأنها قد أحدث تغييرا جذريا في حياتهم مثلا: إني أكثر سعادة الآن بعدا قرأت كتاب "كيف تكون سعيدا في 10 أيام" أم كتاب وصفات التحكم في الذات، وفلسفة قانون الجنون، كيف تتحكم في مؤخرتك الباطنة، ألعاب السافلين، كن غبيا تكن أجمل، والعديد من المسميات لرائجات هذه الايام، التي أصبحنا نقتنع بقراءاتها فقط لأننا نراها في منشورات على "فيسبوك".

أصبح الجميع يريد أن يغير من حياتنا الى الأفضل، لكننا حتما نحب حياتنا كيفما هيا، نحب كوننا فاشلين، نحب كوننا نرتكب الكثير و المزيد من الأخطاء، نحب أن نمضي دقائق وساعات ونحن نشاهد فيديوهات تافهة على "أنستغرام"، نحب أن نقود سيارتنا التي غالبا ما زلنا لا نمتلكها، أو ربما ما نزال ندخر سنوات كي نشتريها، نحب بنات الليل، الليالي الحمراء، نحب أن نمضي الى العمل ونحن سكرى، ونحب الكثير من الأشياء التي

ندرك في أخر المطاف انها لم تعد مجرد تسلية نمضي بها الوقت بل أصبحت شيئا ضروري في حياتنا أو بتعبير ادق أصبحت عادة راسخة يستحيل الاستغناء عنها.... يا إلهي إني أصبحت مدمن كحول... إني أضحيت في قمت الغضب إذا استغنيت عن قنينتي الخاص... هذا ليس هو الخطأ الذي يجب أن نخشى منه، أين العيب إذا كنت مدمن كحول وأين العيب إذا كنت زير النساء، المشكلة الحقيقة هي في ذلك الوهم الذي نقتنع به، إني لا أستطيع ... عندما أقلع أصبح غاضبا... أغضب من أبسط الأشياء...

صديقي هل عندك كتاب "بروتوكولات السنافر" ... أسف يا سيد لقد جئت هذه المرة ب 100 نسخة وقد بعتها كلها في ثلاثة ايام ... يا لا العجب الكل أصبح يحب القراءة، الكل يريد أن يعرف كيف يخطط السنافر لحكم العالم واستعباد البشر... الكل يعلم منظمة السنافر السرية لكنها ماتزال سرية يا سيدي...

اعذرني إد تحدث كثيراً فإن كلامي مجرد هلوسات لا أكثر، فالأصل في كلامي هو ان تنتقد العالمين من حولك... أنت وحدك ملاك والأخرين كلهم شياطين ادمية... أنت على صواب والأخرين مخطئون ... أنت ناجح وهم فاشلون... أنت النور المضيء بين عتمة الظلام الدامس، أنت أيقونة للنجاح والعزيمة، وكل ما في الأمر أنك لا تهتم لأن تحمل قلما وتكتب لنا قصتك الجميلة الرائعة، أو أنك لا تجد التعبير السامي الذي لا يليق بجلالك الفخم، او ببساطة أنك لا تحاول...

هذه هي المغزى التي يجب أن تصل اليها في أخر المطاف...

أنا أحمد علي جوده... موظف ديمومة بمستودع الأموات بمستشفى المدينة ... ولا أريد أن أعرف بنفسي أكثر من هذا..وهذه هي قصتي... ثم أني ليست مجنونا ... صدقوني... أرجوكم صدقوني...

الفصل الأول

أذكر تلك الأيام التي مضت حينما انتقلت الى العمل بالمدينة، غلام ذو رأس فارغ لا يفرق بين أدنى المصطلحات فقط ايقونة فارغة لغلام يمثل اللاشيء، فقط جثة متكلمة موجودة، إني سعيد حقا لأني موجود، وسعيد أكثر لأني ابتعدت قليلا عن عائلتي لكي أوفر نوع من الخصوصية والاستقلالية المادية لغلام من الطبقة المتوسطة فقط،

ما العمل ؟_

متدرب بمستودع الأموات_

ما العمل بضبط أنت تعرف مثلا ممرض، حارس، عامل خبرة، مغسل، ناقل أموات، مشرح، طبيب جراحة... كل هذه تخصصات يمكن أن تعمل بها في مستودع الأموات.

أنا مجرد متدرب لا أكثر...

أقلتي عربية العم فارس الى المدينة مسافات وانا أختبئ بين كراتين التمر، لكيلا يراني رجال الشرطة الموجودون في الحاجز، وانا أركب في ردهة السيارة الخلفية المخصصة لنقل البضائع والتي لا تحتوي على اي كراسي، ولكيلا يحرروا له مخالفة بسببي.

وانا مختبئ حتى غلبني شيء من النعاس، فأغمضت عيني ونمت قليلا ... حتى ايقظتني صرخات العم فارس "استيقظت يا أحمد لقد وصلنا".

ترجلت عن عربة العم فؤاد بعدما أوصلني الى وجهتي، حامل بيدي محفظة قد عمدت أن أضع فيها ملابسي، فودعته وتوجهت الى مستشفى المدينة، سرت أمشي وأسأل المارة عن ذلك المستشفى، لأن المال الذي بحوزتي لا يكفي لأستقل به سيارة أجرة... كان يكفيني فقط لأعيش به بعض أيام في المدينة في حالة لم أقبل في تلك الوظيفة التي قد جئت من أجل لهذه المدينة...

استقبلني حارس المستشفى بنظرات متجهمة يستطلعني، ويسال: هل أنت مريض... أم جئت لزيارة مريض هنا؟

فأخرجت بطاقة تعريفية من جيبي خوف منه لقد ظننته شرطيا، وتابعت قائلا: إني أريد مقابل الدكتور حفيظ عبد المولى فتوح...

فقال مستغربا: هل هو من عائلتك؟

قلت: تقريبا.

قال: رأيت تلك الكراسي... اجلس عليها، حينما يأتي الدكتور سأخبرك إذ سمح لك بالدخول اليه.

فأومأت له برأسي إيجاباً وتوجهت نحو تلك الكراسي... بينما هو يرمقني بنظرات ريبة واستطلاع.

وانا انتظر ساعات حتى دلفت سيارة فارهة الى المستشفى أخد الحارس يفتح لها الباب مسرعاً، فتوقف صاحب السيارة للحظة فأسرع اليه الحارس مجددا تاركا الباب مبتسما ببسمة مزيفة مقوص ظهره، وأخد يتلو عبارات التبجيل على صاحب السيارة، بعدها أشار لي بسبابته قائلا له بعض الكلام الذي لم أسمعه، فبادله الحارس بكلمات بدورها لم أسمعها...

فنظر اليا صاحب السيارة ولوح إلي مبتسما فبادلته... فركن سيارته في موقف السيارة واخذ يصعد نحو بناية المستشفى ....

وبينما أنا اراقبه... فاجئني الحارس بوقوفه أمامي مبتسما يقول: انه الدكتور حفيظ عبد المولى فتوح... ولقد وافق على استقبلاك... اتبعني.

فتبعته أحمل خلف ظهري محفظتي الجلدية البالية بينما يسرع الحارس الى مكتب الدكتور.

فطرق الباب طرقات ناعمة حتى لا يزعج راحة الدكتور حفيظ ونحن ننتظر معاً، فسمعنا نبرة صوت مميزة تأذن لنا بالدخول، فدلف الحارس وأخبره أني خلف الباب فأذن لي الدكتور بالدخول بينما ترجل الحارس من الغرفة وأغلق خلفه الباب.

فوجدت رجل في عقده الخامس تقريبا يبدو من هندامه وجمال ابتسامته الرائعة أنه رجل غني متعلم ابتسم ابتسامة قد زادته جمالا أكثر من الابتسامة التي استقبلني بها وقال لي: ذكرني باسمك يا ولدي.

فقلت متلخبط في كلامي: جوده أمين ... اقصد محمد أمين جوده.

فقال ضاحكا: لا عليك يا بني... لقد تشرفت بمعرفتك... انت من طرف الحاج عيسى.

قلت مبسما: نعم الحاج عيسى المؤذن...

فقال: ان له عندي مقام عظيم جداً ... ويجب عليك ان تشرفه أحسن تشريف... أليس كذلك يابني.

فقلت: كلنا ندين للحاج عيسى بالكثير... انه كبير كبار قريتي...

فحمل الدكتور سماعة الهاتف واتصل برجل ما وقال له "سيأتي عندك شاب جديد سيعمل عندنا هنا... اريه موضع سكنه واعتني به جيداً انه من طرفي... انه من عائلتي"

أنهى الدكتور المكالمة وأخذ يرجع سماعة الهاتف الى مكانها ثم قال لي: انزل عند الحارس وقله ان يأخذك الى مستودع الأموات عند الممرض عبد المجيد.

فصافحته وشكرته على مساعدته لي وتوجهت الى الحارس الذي ظل ينتظرني أسفل البناية، فأخبرته أن يدلني عن مكان عبد المجيد في مستودع الأموات...

فأجهم وجهه وقال: هل ستعمل هناك ؟

.قلت ببسمة نصر: ربما ... لازلت غير متأكد...

فأخذ بي الحارس الى بين يدي عبد المجيد كبير الممرضين ورئيس الموظفين الذين يشتغلون هناك بالمستودع ما، لاحقا علمت أنه مخصصا للموتى، وهو رجل كبير في سن يرتدي وزرة بيضاء، قد حدثني الحارس أنه لا يفارقها أبدا، وقال لي انه منذ ان اشتغل هنا كحارس لم يسبق له ان شاهد عبد المجيد بدون وزرته المعتادة، رجل طبيب يبدو أنه حسن وفي غاية الطيبة...

رحب بي السيد عبد المجيد وأخذ يتجاذب معي أطراف الحديث، يسألني تارة عن خبرتي، وعن المكان الذي جئت منه، وثارة يسأل ملحاً عن علاقتي بالدكتور عبد الحفيظ فكنت أكتفي فقط بأن حضرة الدكتور من عائلتي، وأختمها بأنه شخص طيب وودود، لاسيما ينظر الممرض الى الحارس بتساؤل وكأني إجاباتي لم تقنعه، لكنها كانت تقنعني شيئا ما، رغما أني أضحيت أشكك في أن هناك شيء مريب سأعرف في الأيام المقبلة...

دلني عبد المجيد عن غرف ثلاث متداخلة في واحدة تشبه منزلا صغيرا داخل المستشفى تبعد خطوات قليلة من مستودع الأموات، حمام ومطبخ صغير يتوسطه فرن كهربائي وبضع الأواني الشبه مغسولة، صنبور مياه بمفتاحين وغرفة أخرى مجاورة للمطبخ بها سرير طبي وخزانة صغيرة ورف خشبي صغير...

نظر الي الممرض عبد المجيد وقال: أثناء عملك معنا ستعيش هنا، وهذا السرير أظن أنه يكفي بالغرض .... إذا لم يعجبك أستطيع أن أوفر لك أحد غيره...

فقلت: لا عليك سيدي... فهذا يكفي بالغرض...

أخذت أتفحص المكان ثم أردفت: ماذا عن الغطاء سيدي؟

فأشار الممرض الى الحارس وحدثته ان يأتي لي بغطاءين، ثم أتم كلامه لي: ارتاح الأن قليلا... غدا إن شاء الله سأبدأ في تعريفك عن باقي العمال الأخرين وسأريك عملك هنا بضبط... اتفقنا.

فأومأت برأسي إيجابا، وأنا في قمة السعادة لأني أخيرا سأحصل على عمل مستقل عن افراد عائلتي.

كانت تقريبا الساعة الثانية ونصف بعد منتصف النهار حينما دلفت منزلي الصغير، وانا أقوم بتنظيف أرضيته وغسل الاواني الموجودة، رتبت ذلك السرير الصغير وأخذت أمسح الغبار عن تلك الخزانة والرف الخشبي حتى نظفت كل شيء...

فهممت بالخروج الى المدينة حتى أشتري بعض الأغراض، فأوقفني الحارس وأمدني بالغطاءين خاصتي.
وقال: إذا احتجت الى أي شيء أخبرني أنا هنا...

فأومأت له شكراً ثم عدت أدراجي مجددا لأعيد الأغطية الى الغرفة، حتى انتهيت فخرجت من المستشفى اتجول في أحياء هذه المدينة الصغيرة...

لقد أخبرني أفراد عائلتي عن هذه المدينة قيل انها جميلة ورائعة والكل يحلم بالسفر إليها، لأنها ملجئ لكل الفقراء، بلد الطمأنينة والأمان، بلاد لا يخيب فيه سائل ولا يرد فيه جائع، فقط أطرق باب من شيئت وانتظر ايان يحضرون لك ما تريد من مأكل ومشرب إنه بلد الكرم بدون منازع، وإذا ا احتجت عملا فقصدهم، وإذا احتجت نصيحة نصحوك، وإذا حضرت عندهم فرحو بمجيئك.... سيما أحضر بنفسي لأطلع على منزلة الجنة فوق الأرض، فلم ألبث إلا أن أدرك أن الكلام العابر بين الأذان مجرد هلوس لا أكثر... أكاذيب السامعين لا أكثر... بلد مدقع الحمته الشمس، فاقتربت منه أكثر من اللازم لا خضر في الأرجاء غير نخيل وضع في أوائل حضور الملوك، وبقي بدون تمر يمو ويمو حتى ذبلت أغصانه، أما مارة الشوارع من سمر يميل الى السواد، فإنهم لا ينظرون اليك الا مستطلعين إياك بنظرات مريبة... أي هذا... هل أنا في بلاد العبيد... أم ماذا؟

أما أن أطرق باب أحد فقد استغنيت عنها ربما ألقى جواب لا أنتظره فخيب ظني سائلا، لم يكن لي في هده المدينة أي قريب لقد كنت أنا فقط وحدي تماماً، أم السيد حفيظ فإنه رئيسي في العمل ولا أظن أني سأراه كل يوم.

عدت أدراج مسرعا الى غرفتي لعلي ارتاح قليلا... ربما يكون يوم غد يوما كغير المعتاد...

ايقظتني منبهتي من نوم عميق، قد جالت فيه ذاكرتي ارجاع العائلة شوقا إليهم، فارتديت ملابسي وهممت مستكشفا المستودع، فوجدته مغلقاً، فلم يكن لي سوى كراسي بجانب الباب فسندت نفسي اليها منتظراً، حتى حضر سواديا لم أكن أعرفه فسألني: من أنت يا بني.

الكل يناديني هنا بني هل ملامحي توحي بأني طفل في العاشرة أم ماذا، اني غلام في عقده الثاني.

وسط تفكري عمدت له بإجابتي: إني العامل الجديد من طرف الدكتور حفيظ.

فقال: مرحبا بك... هل يعلم السيد عبد المجيد بحضورك.

فقلت: نعم لقد حضرت سالفة البارحة... وأدلني بحضوري اليوم الى هنا كي ألقاه.

فقال: حسنا... لا علينا ... أنا ادعى "ميرڤال" ... موظف استقبال هنا.

فأمد لي يده مصافحا اياي، فهممت بالوقوف مسرعا وصافحته ثم اردفت قائلا: انا أحمد علي جوده ... متدرب جديد.

فابتسم مجاملا إياي... وراح يفتح باب المستودع وانا خلفه اطلع المكان من حولي، فلبث بين لحظة وأخرى يستنطقني وهو يسير في ممرات المستودع عن نفسي وعن عائلتي وحتى المكان الذي اتيت منه، وتارة يسألني عن الصلة التي تربطني بالدكتور أو الممرض.

حتى حضر الممرض عبد المجيد فقال لي باسما: يبدو لي أنك قد استيقظت اليوم باكرا ... تعال معي...

فسرت خلفه مسرعا لعلي لا أخيب ظن الدكتور كوني شاطر في العمل، فامدني الممرض بوزرة بيضاء ونعل أبيض صغير قيل إنه نعل طبي يرتديه العاملين هنا اثناء العمل هنا، ثم امدني بكمامة وقائية و قفاز طبي وقال لي مشيرا الى الكمامة والقفاز: لا ترتديهما الآن ستحتاجهم لاحقا.

ثم نظر الي وأردف قائلا: مهمتك اليوم وهيا الحضور المتتالي والمشاهدة طريقة عمل العاملين هنا كي تتعلم منهم.

تداعى عن الكلام للحظة ثم قال مجددا: ستعمل في قسم مستودع الأموات... ولاحقا ستساعدنا في حمل الجثث الى الثلاجة واخراجها... ازالت ثيابها وأشياء من هذا القبيل... هل فهمت؟

قلت: نعم سيدي.

فقال مجددا: هل تخاف من مشاهدة الجثث أو شيء كهذا... فوبيا مثلا ... كوابيس ليلية...

فدارت في نفسي أكثر من إجابة، فقلت له: لا سيدي ... كل هده الأشياء عادية بالنسبة الي...

وهكذا مر اليوم اساعد الممرض بإمداده بعض الأدوات وثارة اشاهد، وإذا ارسلني الممرض لإحضار شيء احضره مسرعا...

واذا جاء أحد الأشخاص راغبا في اخراج جثة أحد من دويه انادي للعامل بالاستقبال ليحضر اليه فيسأله عن تصاريح لإخراج الجثث... أو طلب زيارة او خبرة طبية... وغيرها من الاحداث التي توالت مدت أسبوع.

الا أني لحدود اللحظة رغم حضوري اليومي الا إني لم أحضر لدخول جثة جديدة إلى المستودع، فكنت أمضي الايام في المساعدة وتعرف عن بعض العاملين هنا، لا سيما أصبح البعض منهم صديق لي، وكان معنا في المستودع بعض الممرضات والعاملات في مقتبل العمل يعملون معنا هنا في مستودع الموتى.

أتذكر ضحكات هنا الماجنة وسراويلهن الضيقة، التي جعلتني في حيرة من أمري وأنا أفكر كيف يقومون بارتدائها، واني لعلي أنظر الى الناس مطلعا، أم البعض فينظر مشيئا يصبح على إثرها بني انسي شيئا قد يباع بأثمان باخسة.

كنت أعمد عند الانتهاء من عملي الى التوجه الى غرفتي أتصفح بعض الكتب التي أقتنيها بين فينة وأخرى، لعلي أفيد نفسي رغما عن تلك الأيام التي أضعتها هباء خارج المدرسة، بعض كتب الطب وبعض الكتب الدينية التي تعلمني كيف التعامل مع الموتى، أذكار وأحاديث أتعلمها لعلها تجدي القليل من النفع، وعند انتهاء من تصفح تلك الكتب أنام قليلا كالمعتاد كي أرتاح قليلا حتى أستيقظ في اليوم الموالي.

الجثة الأولى في المستودع.

كنت أساعد الممرض عبد المجيد حتى أقبل الينا عامل الاستقبال مسرعا يصرخ: سيد مجيد لقد جاءت جثة الى المستودع.

فأحسست بنوع من السعادة يليها بعض الخوف فانه لم يسبق لي أن رأيت جثة من قبل، انها فرصتي الأولى لأرى جثة وكذلك لأتعرف على هذا النوع من الأعمال، انها سابقة من نوعها.

فالتفت اليه الممرض مستغرباً وكأنه من غير الطبيعي أن تأتي جثة الى المستودع ثم أردف: هل معهم التصريح بوضع الجثة هنا.

فأخرج اليه العامل ورقة كتب أعلاها تصريح وأمدها إياه، فبدأ ينظر اليها عبد المجيد بتفحص وقال: هلا أحضرت لي يا بني نظارتي من مكتبي.

فذهبت مسرعا تتسابق أرجلي مع بعضها كي لا أضيع أية ثانية من العملية، فأحضرتها ومددتها إياه فوضعها وبدأ يقرأ بتمعن، فنظر الى العامل وقال: أين أهله هل هم في الخارج.

فقال العامل: لا يوجد أهل حاليا، فقط بعض رجال الشرطة.

بدأت تتضارب أفكاري فيما بينها لما يأتي رجال الشرطة الى المستودع، هل الميت قريبهم، ربما يكون الميت أحد رجال الشرطة، أو ربما يكون الميت مجرم يريدون أن يسجنوه، ماذا أقول؟ هل يمكن الأساس سجن الموتى.

فقاطع تفكري كلمات الممرض متسائلة: أين رجال الشرطة؟

فأشار عامل الاستقبال الى الردهة خارج المستودع.

فتوجهنا الى الخارج حيث وجدنا رجلي شرطه بزيهم الرسمي فيما يقف رجلين بجانب سيارة الإسعاف المتوقفة قبالة المستودع، يبدو من ملبسهم أن أحدهم قد يكون سائق سيارة الإسعاف، فيما يقف الاخر بجانبه ويبدو من خلال وقفته الغريبة وملبسه أنه شرطي أو رجل ذو منصب عالي.

فحدثهم السيد عبد المجيد قائلا: ما سبب احضاره الى المستودع؟

فقلت في نفسي هل فعلا يحتاج الموتى الى أسباب كي يوضعوا في ثلاجة الأموات.

فقال أحد رجال الشرطة ذوي الزي: انه مشكوك في موته... ربما يكون قد تعرض الى عملية قتل أو شيء كهذا.

فقال الممرض: هل لديكم شهادة تقر بوفاته.

فأمده الشرطي بشهادة للوفاة وقال: انها من قسم المستعجلات.

قال الممرض: ما القصة إذا؟

فقال الشرطي: ليست بقصة فقط الميت أحس رعشة في سائر جسده اختنق الى إثرها فتم نقله الى المستعجلات على متن سيارة مدنية، وحسب افادة عائلته أنه غاب عن الوعي في الطريق قبل وصوله إلى المستشفى... فأردنا أن نعرف سبب موته.

قال الممرض: وسيارة الاسعاف هاته؟

قال الشرطي: انها تابعة للمستشفى لقد استعنا بها لنقل الميت الى هنا.

فقال الممرض متعجبا: حسنا

وأخذا يزيح ويفتح باب المستودع على مصرعيه.

فيا تقابلت مؤخرة سيارة الاسعاف معا الباب ونادا الممرض الى بعض الممرضين والعاملين ليساعدوه فيما فتح سواق الاسعاف باب السيارة الخلفي، فكان جوال أظنه يخص الموتى موضع فوق سرير طبي متنقل.

فقمنا بإخراجه من سيارة والاسعاف وأخدنا نسوق السرير ذو العجلات الى ثلاجة الأموات فيما دلفت بعض الممرضات والعاملات الى غرف متفرقة من المستودع، كي لا يحضرن الى تلك المراسيم التي أجهلها.

فدلف برفقتنا رجلي الشرطة والرجل ذو الزي المدني الذي لازلت أجهل دوره هنا وأغلقنا الباب خلفنا.

فأخرج رجل الشرطة ورقة وقلم وأخذ يدون بضع ملاحظات في تلك الورقة، فيما وقفت أنا بجواره أشاهد الأحداث، أما باقي العمال فاخذو يفتحون الجوال بين فينة وأخرى، حتا ظهرت ملامح أول جثة أراها في حياتي، رجل ستيني مغمض العينين بملابسه يقبع داخل الجوال، لا يتحرك، شعر أبيض ولحية بيضاء خفيفة ما يزال لون جثته كمثل رجل على قيد الحياة، ينام في سبات عميق ليس له نهاية.

فقال الممرض: متى توفي الفقيد؟

فقال الشرطي: فجر اليوم أثناء نقله الى المستشفى.

فبدأ بعض العاملين الذي ارتدو قفزات في أيديهم يقطعون ملابس الميت بالمقص فيما أزالوا بعضها حتى ظهرت معالم الجثة.

فاقترب الشرطي شيء فشيئا حتى دنى من الميت وأخذ يقلب رأسه كي يعاين شيء ما وساعده باقي العاملين على تقليبه فبدا لنا ازرقاق على مستوى ظهره واسفل فخذيه، فقلت في نفسي لابد ان الجثة قد عانت قبل أن تصل الى هنا وانا انظر الى هذا المشاهد متعجبا انها أول مرة أحضر لهذا النوع من المراسيم، تداركني الممرض وقال: إن ذلك الازرقاق اسفل فخذيه وظهره عبارة عن دم يتخثر هو الأخر عندما يموت الانسان، عندما يموت الانسان تتوقف دورته الدموية، فينزل الدم الى تلك الأماكن التي استلقى عليها الميت، ثم تابع قائلا ولو أن الميت ظل واقفا لتخثر الدم في رجليه وهكذا دواليك...

عندما انتهى رجال الشرطة من معايناتهم أخذنا نحمل الجثة التي وضعناها مرة أخرى داخل الجوال ثم قمنا بإدخالها ثلاجة الأموات بملابسها المقطع، والغير المرتبة.

بدا لي أنه تصرف غير لائق، إلا أن أخبرني الممرض أنه عندما يغادر رجال الشرطة ويحضر المغسل فيقوم بعمله ووضعه تحت غطاء ابيض الا أن يأتي أهله ويأخذوه.

هنا ارتاح ضميري قليلا، الا ان مشاهد الجثة الميتة ما تزال عالقة في ذهني، بين فينة وأخرى لأنها أول مرة لي اشاهد فيها جثة ميتة في حياتي.

توالت الساعة فيما حلا المساء، فحضر المغسل وراح يغلق الباب من خلفه وحده فقط مع جثث هامدة ثم دلف خلفه مساعده واخذو يغسلوا الميت ويجردوه من ثيابه بدون أدنى خوف او شعور غريب، فأيقنت حينها أن قلوبهم ميتة وأصبح الأمر عادي بالنسبة إليهم، أما أنا فإني لا أستطيع أن أفعل ما يفعلون، أو ربما لا أستطيع أن أدنو من جثة فالأمر بالنسبة إلي مرعب وغير مريح بتاتا...

الفصل الثاني

مرت أشهر متوالية و أنا أشتغل بمستودع الأموات حتى أني لم أعد بخبرة متدربا بل أصبحت بخبرة موظف ديمومة بالمستودع لكني ما أزال متدربا حتى أني انتقلت من عد الجثث التي قام بمشاهدتها أو حتى تلك التي

حصل لي الشرف أن أساعد في فحصها أو ربما تشريحها الى متدرب يقوم باستقبال الجثث والعمل بما يلزم بحضور الممرض عبد المجيد كبير الممرضين ورئيس العمال هنا، فأصبح السيد عبد المجيد يعتمد عليا في الكثير من الأعمال قبل حضوره فأصبحت مثلهم ذو قلب ميت.

ثم أضحيت لا أعد كم عدد الجثث التي قمت باستقبالها أو ربما حصل لي الشرف المساعدة في تغسيلها أو ربما تقطيع ثيابها وفحص مدا تخثر الدم و قد كانت الحالات التي حضرت لها كلها عادية، أناس يموتون في ظروف مشكوكة فيعرضونها علينا فنأكد لهم بدورنا أنها مجرد حالات عادية لا أكثر، ولا يوجد أدنى شك في كونهم قد تعرضوا الى أي حادث عرضي قد أدى لموتهم، وهكذا كانت تمضي الايام... وقد زاد عدد أصدقائي هنا، الكثير من العمال و المرضين وحتى المرضات التي أصبحت علاقتي معهم وطيدة أما الحارس المتجهم فقد أصبح صديقا لي يحدثني عن أحوال العاملين معي...

وبينما أنا أشتغل في المستودع دلف الي الحارس الذي علمت بعد أسابيع من عملي هنا أن أسمه فؤاد، وهو يسأل عني، فرمقته بنظرة مبتسما: لقد شرفتنا يا فؤاد... ما سبب الزيارة؟

فقال الحارس: ان الدكتور حفيظ يريدك في المكتب.

فدار في نفسي أكثر من سؤال عما يريدني، صراحة لم ألتقي الدكتور ولم يسأل عني منذ أن بدأت الاشتغال هنا، حتى أوقات فراغي لا أذهب اليه مخافة إزعاجه هذا كل ما في الأمر...

فقلت متعجبا: ما سبب يا فؤاد؟

فقال لي: لا أعلم... فقط أخبرني بأن أتي إليك هذا كل ما في الأمر.

فقلت: حسنا... ان خير شاء الله.

وبينما أنا وفؤاد في الطريق راح يسرع في مشيته ويسألني: كم عمر جدتك، هل هيا مريضة

فقلت مستغربا من أسئلته: لما تسأل... ما بك يا فؤاد هل كل شيء على ما يرام؟

فقال ضاحكا محاولاً تجاهل الأمر: انت تعرف يا أحمد لا تتحدث عن ذويك كثيراً... فأردت أن أعرف أحوالهم لا أكثر...

وصلنا الى باب مكتب الدكتور وأنا قلق لا أعلم سبب حضوري.

فدلفت الى المكتب بينما أغلق فؤاد الباب من خلفه، وغادر فحييت الدكتور فاستقبلني بحفاوة زائدة قد بدى لي حينها أكثر طيبة وحنان من ذي قبل، حتى أصبحت أشك أن هناك خطأ ما في الموضوع.

فقال لي الدكتور حفيظ: كيف أمضيت شهورك الأول في العمل؟

فقلت: جميلة حضرت الدكتور ... لقد تعلمت الكثير من الأشياء.

فقال: كيف معاملة الأخرين معك؟

قلت مبتسما: إنها أحسن معاملة ... نحن عائلة هنا.

فقال لي مبتسما هو الأخر: كيف حال العائلة وأناس القرية والحاج عيسى المؤذن؟

فلم أجد أي إجابة تدور في نفسي لأنه قد مضى دهر منذ أخر مرة اتصلت بهم فلم ألبت الا أن أكذب على حضرته فقلت: انهم بألف خير وإنهم يسلمون عليك.

فتغيرت ملامح وجهه وقال لي: متى أخر مرة اتصلت بهم يا بني؟

فقلت حانيا رأسي من أسف لأني لم أستطع أن أواصل: أنا أسف سيدي فإنه مقربة ثلاث أشهر لم أتصل بهم ... حينما جئت الى هنا كان لي هاتف صغير قد سرق مني في المدينة في الثلاثة أيام الأولى ولم أخبر أحداً... واني لم أشتري هاتف أخر لأني لا أملك المال الكافي... وأنا تعلم في المستودع لا يدفعون للمتدربين وهذه أشهري الأولى هنا كمتدرب ولا زلت لم اتقاضى اجر هذا الأشهر فقط بعض نقود اكفي بها أيامي من مأكل ومشرب... أردت أن أخذ إجازة لكني لازلت متدرب... كما أني لا أحفظ أرقام عائلتي.

فأخرج الدكتور بضع أوراق نقدية وناولني إياها وقال: خذ هذه ضعها في جيبك ربما تحتاجها لاحقاً.

فحاولت إرجاعها له لأن كرمه عليا كبير لكنه أصر أن أحتفظ بها.

فضحك في وجهي وقال: ساخدك معي في زيارة للمنزل...

فقلت متعجبا من معاملته الطيبة معي: والعمل؟

قال: لقد أخبرت المرض مجيد أني ساخدك معي...

فنزلت برفقته وتوجهت الى منزلي الصغير أحضرت محفظتي التي وضعت بها بعض الثياب وعدت مسرعا إليه

فركبنا سيارته الفارهة فأخذ يحدثني...

على أن أصبر وأعمل بجد وأني ليست مجرد ولد بل أصبحت رجل يمكن الاعتماد عليه...

وقف الدكتور حفيظ أمام منزله لدقائق وأخرج هاتفه من جيبه وقال: اخرجي يا نرمين نحن أمام المنزل...

فتعجبت من كل تلك الأحدث... لم يعطني الهاتف كي أتصل مع عائلتي في بداية الأمر، والآن لم يضايقني في منزله، ربما لديه أمر مستعجل في القرية أو شيء ما...

بعد دقائق خرجت إمراه أربعينية انها نرمين زوجة الدكتور وبرفقتها فتاة في نفس عمري تقريبا لا أعرف اسمها، حتى أني لم أطل النظر فيها كونها ابنت الدكتور وهو في مقام والدي وبالتالي فبنته مثل اختي تماماً...

صعدا الى السيارة، وأخذوا يتبادلون معي أطراف الحديث بينما نحن متوجهون الى القرية، والدكتور لا ينحى عن الكلام الا وبدأ يحكي لنا عن بعض القصص التي رقته في العمل...

وهكذا مضت الساعات الأولى في الطريق حتى دلفنا الى المجال الريفي فلم يعد يبعد بيننا وبين قريتنا سوى كيلومترات قليلة فقال لي الدكتور: لقد أخذت لك إجازة 6 أيام وبعدها سآتي لأخذك الى المدينة مجددا عندما تنتهي الاجازة.

ونحن على ضفاف القرية حيث بدأت تبدو معالمها وانا انظر الى قريتي شوقا إليها وإلى عائلتي وأصدقائي... فتضحت معالم قريتنا كثيراً حتى أصبحت أنظر إلى منزلنا من بعيد، فلمحت شيئا غريبا كغير المعتاد.

الصدمة...

خيمة مناسبات بجوار منزلنا بل بداخله، فلمحني الدكتور وأنا أتأمل تلك الخيمة من بعيد ولا أعرف هل هي في منزلنا أم خارجه...

فقال لي والحزن يخيم على ملامحه: محمد علي الأن قد اتضحت المعالم، ولا مجال لأن أخفي عليك أكثر من هذا

فنظرت الى عينيه وعيني تفيض من الدموع لا أعلم ماذا أصابني ماذا في الأمر وقلت: تخفي عني ماذا ... أنا لا أفهم؟

فقال: إن أمك رحمة الله عليها قد توفاها الأجل...

رفعت رأسي الى سماء حينها فمت أنا وما أزال حي في مكاني فسارت رعشة من سائر جسدي كما ولو الموت يتحكمني، أه لو يأتي الموت إلي لكان رفيق بي...

واذ كان طعناته ب 3 ألاف ضربة بالسيف، فقد طعنت 4 ألف ضربة حينها لكني لم أمت، كان شعور لا أظن أني سأشعر به لو كنت أنا الميت...

توقف الكاتب متأسفاً عن تتمة باقي الأحداث لأنه لا يستطيع إتمام المشهد...

***

مضت أشهر ونوم لا يحلو الا تذكرت أمي وفاضت عيني بالدموع... إني لا أستطيع أن أنسى، هل حقا أمي ماتت... مستحيل ربما يكونوا قد اخفوها عني في مكان ما ... أنا لم أرى جثتها ... هل هناك مؤامرة ما... إني لا أستطيع... هل سأعيش بدون أمي ... كانت هذه هي افكاري وأسئلتي التي لم أجد لها أي سؤال فأصبحت أبحث في كل مكان عن أمي، لكني لا أجدها، حتى أني أصبحت لا أقرب جثث النساء ولا أستحمل مشاهدتهن، بمجرد أن أعلم أن الميت امرأة أغادر المكان... أصبحت لا أضحك الا ضحكة مزيفة لا أكثر... أصبحت بين فينة وأخرى أتصل بعائلتي كي أطمأن عليهم لأني ببساطة أخشى عليهم من الموت، لأنني اصبحت أخشى من الموت أكثر من اللازم، بل وأنا محاط بالموت من كل جانب، لقد تغيرت نفسيتي تماما...

***

في يوم من الأيام يأتي إلي فؤاد يخبرني عن رغبة الطبيب في ملاقاتي.

فذهبت عند الطبيب الذي رأى تحول ذلك الشاب المفعم بالحيوية الى شاب محمر العيون حاني الرأس فبالي لا يخلو الا وجال بين الذكريات...

قال لي الدكتور: أحمد اجلس.

فجلست فوق كرسي قبالة مكتبه

فأزال نظاراته وأخذ يحدثني: والله يا علي لأني متأسف جدا أني لم أخبرك في بادأ الأمر.

فأومأت له برأسي أنه لا مشكلة لدي.

فأردف: الدنيا حق ونصيب ولله ما أخد ولله ما أعطى، ولو أننا لا ننسى لهلكنا، أمك مؤمنة أحبها الله سبحانه فأخذها... كيف لنا أن نعترض على مشيئة الله سبحانه...

بدأت العيون الجافة تذرف ما بها من دموع وأنا أنظر إلى أسفل الأرض.

فقال: بني لقد اشتكى المرضون والعاملين معاك من تغير أحوالك... إذا أردت أن أقوم بتحويلك الى قسم أخر فلا مشكلة عندي.

فنهضت من كرسي وقلت بكلمات تكاد تخرج: لا مشكلة عندي حضرت الدكتور في القسم الذي أنا فيه... سأحاول أن أنسى... وأشكرك على مواساتك لي يا دكتور...

فخرجت من مكتبه وتوجهت الى المستودع من جديد حيث أنتمي.

مرت أيام وبدأت أتقبل الأمر... عدت أضحك أحيانا... عدت أشتغل كما كنت، بل وبدأ الإدارة تصرف لي أجري كعامل عادي... كموظف ديمومة بمستودع الموتى.

وعدت كما كنت بل وتقبلت الأمر الذي لم أتقبله في بادئ الأمر.

***

وأضحت الأيام تمر بشكل عادي بعد مرور حوالي سنة وأنا أشتغل هنا كموظف ديمومة بالمستودع الأموات كباقي الموظفين هنا.

الجثة الغريبة

وفي أحد الليالي بينما كنت أنا في ديمومة ذلك اليوم دلف أمام المستودع سيارة إسعاف ... وأخذ أحد ما يطرق الباب شيء فشيء ... فحملت نفسي فوق السرير وفتحت الباب.

فوجدت قبالتي ممرضة جميلة بوزرتها البيضاء فقابلتني باسمة تقول: أنا من قسم المستعجلات ولدينا إذن بوضع جثة هنا.

فقلت لها: ما سبب؟

فقال رجل شرطة كان خلفها: لدينا حالة غرق.

فقلت في نفسي حالة غرق كيف إنها أول مرة نستقبل هذا النوع من الجثث

ثم قلت له: لحظة أكلم المسؤول عن المستودع وانا معكم.

فأومأ لي برأسه إيجابا فما رحت أتصل بالسيد عبد المجيد الذي أخبرني لاحقا عن قدومه المستعجل

فانتظرنا حتى حظر الممرض برفقة بعض العاملين.

فأخذنا الجثث الى المستودع وفتحنا الجوال، فكانت المفاجأة جثة زرقاء اللون أول مرة أرى مثلها في حياتي، بل أكثر من ذلك مذبوحة وبدون أطراف...

فقال الممرض: إن هناك لغز ما... ستحتاجون عرضها على الطبيب الخاص بتشريح

فنظر اليها الشرطي بتمعن وأخذ يدون بضع ملاحظات وقال للممرض: إنك على صواب ... سنتصل به غدا.

وقبل ان أفهم المزيد من التفاصيل عن ذلك المشهد الغريب وضع الممرضون الجثة في الجوال ووضعوه داخل الثلاجة الى حين حضور طبيب التشريح.

فغادر رجال الشرطة وتبعهم الممرضون برفقة السيد عبد المجيد فيما تركوني أنا بمفردي داخل المستودع مع جثة زرقاء مذبوحة ومأكولة الأطراف...

بدأت أهلوس معا نفسي أغلقت غرفة المداومة وحاولت النوم لكني لم أستطيع تارة أسمع أنين وثارة وقع أقدام يقترب من باب غرفتي وحينما انهض وانتظر كي أتأكد أكتشف أنه لم يحدث أي شيء كل هذا من نسج مخيلتي... بل أصبح بدل أزمة مع فقدان أمي أصبحت أعاني اللحظة من أزمتين معاً... فبقيت على هذا النحو حتا حل الصباح.

فذهبت إلى منزلي ولكن هلوسة البارحة لم تفارقني، ما الغريب في هذه الجثة بضبط، لابد أن هناك أمر غريب، أم أنها المرة الأولى التي أشاهد فيها هذا النوع من الجثث... بينما أنين الجثة ما يزال في ذاكرتي يتردد... فبدأت أتجاهل تلك الهلوسة حتى تحكمني النوم لأني لم أنم هاته الليلة.

عندما استيقظت ذهبت الى المقهى مباشرة بينما لم أذهب الى المستودع كما كنت أفعل كل يوم أثناء فترة راحتي، وكأن الذي بداخلي لم يعد يستحمل دقيقة واحدة داخل ذلك المستودع، الأمر الذي أدركته اليوم بعد مرور سنة أن حياتي كلها أصبحت محاطة بالموتى، فأصبحت لا تحلو لي دقيقة واحدة الا وغادرت المستودع... ليتني قبلت عرض الدكتور بنقلي الى قسم أخر، لكنني حينها لم أدرك ما كنت أخطوا اليه، كان الأمر لا يفرق معي، ما الفرق بين عملي هنا أو في قسم أخر الأمر... كل ما فيه أني محاط بموتى...

***

وبعد مرور أيام من مداومتي الأخيرة جاءت مداومتي مرة أخرى، فتأكدت أن الجثة مأكولة الأطراف لم تعد في المستشفى بل أخرجها ذويها الى الدفن وتبين لي لاحقا أن الجثة الزرقاء قد تعرضت فعلا لذبح وتما التخلص منها في السد المجاور للمدينة، لطمس معالم الجريمة وكذا التخلص منها بصفة عامة الى أنها استطاعت أن تخرج في أخر المطاف من السد فوجدها أحد العشيقين اللذين عمدا أن يختلي بالقرب من السد، ربما لفعل شيء ما لا أعرف ما هو بضبط، المهم أنهما اتصلا بأفراد الشرطة حيث حضرت الدورية على الفور، أم حال أطرافها فان بعض الأسماك الحيوانات البحرية التي تعيش في السد قد تناولت منها، الى أن نجحت الجثة بالخروج الى ضفاف السد...

لا أعلم ما الذنب الذي اقترفته تلك الجثة حتى تلقى نهاية مزرية مثل تلك النهاية... مذبوحة... غارقة... مأكولة الأطراف... أي نهاية أسوء من هاته... أن يقوم بإحراقها مثلا قبل أن يرميها في السد.

مضى اليوم مسرعا الى أن وصل المساء فغادر جل العاملين والمرضين ولم أبقى سوى بمفردي داخل المستودع فبدأت أتجول داخله وأسمع... ربما أسمع صوتا غريب، فكان لي ما أريد صوت غريب أخر يعم في الأجواء...

انه صوت سيارة الإسعاف من جديد تتوقف أمام المستودع... ماذا فعلت في حياتي حتى لا تأتي الجثث الى مداومتي.

فتحت الباب فأمدني الشرطي مبتسما بتصريح الوضع في المستودع وأردف: أصبحت ألقاك كثيرا في المستودع هل انت تداوم دائما هنا... أم ماذا؟

فقلت ضاحكا: أني قابض الأرواح.

فاتصلت بالممرض عبد المجيد فأخبرني "بأنه سيأتي على الفور".

دقائق حتى حضر الي الممرض وبعض العاملين فقال عبد المجيد: ما سبب الزيارة حضرة الضابط؟

فقال: انه مشكوك في موته... كسالفين من قبله.

فأدخلنا الجثة الى المستودع وأخدت أتفحصها فتبين لي أنها مجرد موت طبيعية، فأغلقت الجوال مجدداً وأدخلته الى الثلاجة الى أن يحضر ذوي الميت لكي يأخذوه من أجل الدفن.

فكانت مجرد جثة عادية ليست كسابقتها، غادر الجميع فيما توجهت أنا الى غرفة المداومة أتصفح بضع الأخبار. فوجدت عن طريق الصدفة منشوراً على الصفحة الرسمية للمدينة خبر عثور شرطة المدينة على قاتل الجثة الزرقاء، فأخدت أتصفح تلك التعليقات التي تباينت بين مثني على عمل الشرطة، وبين لاعن لمرتكب الجريمة، وتعليقات أخرى خارج النطاق الا أن استوقفني تعليق لمستخدم قد اختار أن يعلق بصورة للجثة كما ولو كان حاضر معنا أثناء الفحص أو أثناء إخراجها من السد فقمت بالرد عليه " ربما يجب أن تحترم حرمة الموتى، لا أن تشارك صورهم هكذا" وأغلقت هاتف وأنا شارد أفكر في الأمر انها الساعة التاسعة ليلا... أنا بمفردي داخل المستودع حتى سمعت صوت مألوفاً أستطيع أن أميزه بين ألف من الأصوات...

انه صوت سيارة الإسعاف مجددا تقف أمام المستودع فقلت في نفسي لا يمكن مرتين في يوم واحد هذا لا يمكن... أتمنى أن تكون نفس سيارة الإسعاف تريد أن تأخذ الميت الموجود داخل الثلاجة.

فخرجت عندهم فوجدت نفس الشرطي ضاحكا وهو يمدني بالتصريح ويقول: فعلا إنك قابض الأرواح ... أو أن تكون رجل الموت أحسن...

فقاطعته ضاحكاً: من أين تأتي بكل هاته الجثث... هل تأتي بهم من المقابر أم ماذا؟ ما سبب الزيارة حضرة الضابط؟

فقال مبتسماً: نفس الشيء انه مشكوك في طريقة موته.

فأخرجت هاتفي من جيبي واتصلت بالممرض لكنه لم يجبني... فعاودت الاتصال به مجددا لكنه لم يجبني... فوضعني أمام الأمر الواقع فلم يكن أمامي الا أن أستقبل الجثة وأتكلف بباقي الأمور، حتى أني لم أعد متدربا بل إني موظف مداومة.

التفت الى الضابط وقلت: الممرض لا يجيب على هاتف.

فقال الضابط: ما العمل إذا يا قابض الأرواح؟

فقلت: سندخلها هذا كل ما في الأمر.

فأدخلت الجثة الى المستودع بمساعدة رجال الشرطة وسائق الإسعاف وارتديت قفازاتي الطبية وأخذت أفتح الجوال فوجدت الجثة لفتاة عشرينية، انها أول جثة لفتاة أقوم بفحصها منذ وفاة أمي، شعرت بنوع من الخوف، فلم أعرف ما الذي سأفعل حتى أني لم أسئل عن جنس الجثة عندما أخذت التصريح، لو أنني اتصلت بإحدى الممرضات العملات معنا، لكني الأن أمام الأمر الواقع فقمت بإزاحة ثيابها وتفحصها فتبين لنا أنها توفت نتيجة انتحار شنقا، المسكينة شنقت نفسها لسبب ما، ربما تعاني من اكتئاب أو تخلى عنها حبيبها، أو شيء ما...

فقال الضابط: لقد تم العثور على جثتها معلقة بحبل في الغابة ... غالبا ستكون قد انتحرت فالحبل متين ولا توجد على جسمها أي جروح أو أثار ضرب أو ندبات سوى أثار الحبل على عنقها.

فساعدني السواق على وضع الجثة داخل الثلاجة وغادر برفقة رجال الشرطة.

فأغلقت باب المستودع ولا زلت صورت الفتاة في ذاكرتي كأنه سبق لي أن رأيتها في مكان ما.

الفصل الثالث

توجهت الى غرفة المداومة خاصتي، وقد كانت حوالي الساعة الحادية عشر ليلا قبل منتصف الليل، فأخرجت هاتفي ودخلت الى "فايسبوك" لأتصفح الأخبار فوجدت رسالة بانتظاري فدخلت الى الرسائل فلم أجد أي رسالة غير اشعار بطلب مراسلة، فدخلت فكان الزائر ليس مؤلفاً... يا إله انه المستخدم الذي وضع صورة الجثة في التعليقات ... ربما يريد معاتبتي عن ردي أو شيء مثل هذا... ولأسوء من هذا انه قد وضع صورة الجثة في بروفيله الخاص بحسابه.

فدخلت الى المراسلة فوجدت رسالة: مرحبا يا صديقي علي كيف حالك؟

فتأملت الرسالة كيف يعرف هذا المجنون اسمي... وكيف يضع هذا الأحمق صورة جثة في بروفيله؟

فقمت بحظره على الفور ودخلت الى المنشور الخاص بالحادثة فوجدته قد اختفى فقلت في نفسي ربما أزالته الصفحة الرسمية ... أم المجنون فقد شاهد اسمي في صفحتي الشخصية.

فتناسيت الأمر وأخذت أشاهد بعض الفيديوهات على "الأنستغرام" فعاد تفكيري مجددا الى أمر الفتاة فقلت في نفسي لما لا أذهب لمشاهدتها مرة أخرى... فقلت لا يمكنني أن أنتهك حرمة الموتى... هذا مخالف لقوانين المستودع فقلت في نفسي ما العيب في ذلك المرة الأولى والمرة الأخيرة ثم أني بمفردي هنا...

فتوجهت نحو ثلاجة الموتى وأنا أنظر الى ساعتي حولي الثانية عشر ونصف بعد منتصف الليل فدلفت الى مقصودي وفتحت الدرج الذي توجد به الفتاة وفتحت الجوال فوجدت الأمر ليس كما تركته الجثة ليس كما تركتها انها تنظر الي بعيون مفتوحة ليس كما تركتها نصف مغلقة فدفعت الدرج بسرعة وأغلقته وتوجهت الى خارج الثلاجة استعيد أنفسي من رعب المشهد، فأنا متأكد أن عيونها لم تكن مفتوحة... أم أنها مجرد هلوس لا أكثر، ندمت عن هذه الخطوة التي أقدمت عليها لم يكن علي أبدا أن أفتح الدرج بعدا أن أغلقتها وأنا شارد في تفكيري، قاطعني صوت غريب بالكاد أحاول أن أستوعب من أين يأتي، حتى أدركت أنه صوت سيارة الإسعاف مجدداً، يا الهي ثلاث جثث في يوم واحد هذا لا يمكن، من أين تأتي هذه الجثث... أسرعت أتدرك الأمر بوجه متجهم فوجدت سيارة الشرطة برفقة سيارة الاسعاف يقوفون أمام المستودع فترجل نفس الضابط بالكاد لا يستطيع كتم ضحكته المقهقه: مربحا يا صديقي ... يبدو أن الليلة حافلة بالجثث ... أليس كذلك.

وقبل أن أجيب أمدني بتصريح الوضع في المستودع، ففتحت الباب على مصرعيه وأدخلنا الجثة الى الثلاجة تفحصناها حتى انتهينا بأنها موت طبيعية لشاب ثلاثيني فأدخلتها الى الثلاجة وأنا ألوم حظي العاثر مع كل هذه الجثث، ثلاث جثث في ليلة واحد وما تزال الواحد ليلاً، أي حظ هذا لابد أن هذه الليلة لن تنتهي.

اخذت مجددا أتفحص هاتفي فوجدت رسالة أخرى تنتظرني على "فايسبوك"، من يا ترى هل أحد الأصدقاء، أم ماذا وقبل أشاهد الرسالة تذكرت أني لم أتصل بالسيد عبد المجيد ولم أخبره عن الجثتين اللتين ادخلتهما الى مستودع الموتى، فاتصلت به كي أخبره الا أن صوت مألوفا يخبرنا أن هاتفه ما يزال مغلق، فقلت في نفسي ربما يكون قد نام ونسي وأن هاتف مغلق...

فدخلت كي أشاهد الرسالة التي وصلتني، فكانت الصدمة التي لم أتوقعها نفس الشخص الذي قمت بحظره يرسل لي رسالة أخرى، كيف يمكن هذا، أنا متأكد أني قمت بحظره... كيف لمستخدم تقوم بحظره أن يقوم بمراسلتك مجددا، فلم أجد مفراً من الأمر سوى أن أعرف من هو، فدخلت الى المرسلة فوجدت اسم حسابه "الجثة" يبعث لي برسالة صوتية، خشيت في بادئ الأمر من سماعها، فقلت في أخر المطاف أنه مجرد متلاعب يعشق مثل هاته المقالب في أخر المطاف سأتصل بالشرطة وينتهي الأمر.

فشغلت المقطع الصوتي الذي كان لا يتجاوز دقيقة واحدة فبدأت أسمع أصوتا مؤلفاً، يا الاهي انها نفس الأصوات التي سمعتها تلك الليلة المشؤمة فدنوت أكثر من مكبر الصوت الخاص بالهاتف فقال الصوت الموجود داخل المقطع الصوت بكلمات مرعبة: لقد دنوت من الهاتف... الأن اسمع ما أقول ... الليلة ستبدأ لعبتنا... ولا تظن أنك ستتخلص مني بحظري.

فأبعدت الهاتف بسرعة ورميته من شدة الرعب، ماذا يحدث لي، هل أصبحت مجنون أم ماذا، فحملت هاتفي مجددا وحاولت الاتصال بالشرطة لكن الهاتف لا يتصل بالشرطة، أي بارة هاته وضعت فيها نفسي ربما الهاتف مسكون... ربما المستودع كله مسكون؟

فوصلتني رسالة مجددا ففتحتها انها من نفس المستخدم "الجثة" كتب لي " أنت الان في لعبتي الخاصة، وأنا أراقبك جيدا يا موظف المداومة، وأنا أعلم أنك وحدك داخل مستودع الأموات، لا تنفعك الشرطة أو أي شيء ستنفذ لي طلباتي والا سأزود اللعبة الى مستوى أخر ربما لن تكون مرتاح إذا مزجت لك الأوضاع ببعض الأصوات"

فتأملت الرسالة وأنا في شدة الخوف، هل هذه هلوس أم ماذا وأنا شارد في تفكيري وحصرتي عن نفسي فقاطعني صوت طرق عن الباب فوجهت نظري ناحية الباب البلاستيكي الذي يبدي سوادي رجل يضع يديه على الباب ويطرق...

فكتبت رسالة له: حسنا سألعب معك ما المطلوب مني فقط توقف.

فكتب لي: حسنا كما تريد.

فنظرت مجددا ناحية الباب فوجدت أن الظل قد اختفى.

فكتبت له: ما المطلوب مني ؟

فكتب لي: لا شيء فقط شعرت بالملل، فأردت أن ألعب معك قليلا، أمل ألا أسبب لك أي ازعاج.

فتساءلت في نفسي ماذا فعلت في حياتي كي أعيش كل هذا الرعب في هذه الليلة البائسة.

فكتبت له: ما المطلوب مني.

فكتب لي: ادخل الجثة الى المستودع وفحصها كغيرها... هذا كل ما في الأمر

فكتبت له: عن أي جثة تتحدث... إني لا أرى أي جثة في المكان.

وبينما أنا في رعب أنتظر جوابه متسائلا عن أي جثة يتحدث، حتى سمعت صوت سيارة الإسعاف يقترب من المستودع فانتابني نوع من الخوف مع بعض السعادة، أخيرا سأخرج من المستودع وأخبر رجال الشرطة بالأمر، فأسرعت الى باب المستودع تتسارع خطواتي مع بعضها ففتحت والصدمة.

سيارة الإسعاف تقف وحدها بدون رجال الشرطة وبدون السواق خاصتها، فتفحصت العربة فلم أجد فيها أي أحد، فوصلتني رسالة في هاتفي كتب فيها" لا تحاول الهرب لأني سأجعلك تذوق العذاب، افتح الباب الخلفي لسيارة"

فتحته فوجدت جوال ملقى على سرير طبي داخل سيارة الإسعاف فتأملته ... فنظرت الى هاتفي انتظر رسالة، حتى كلمني صوت من خلفي صوت خافت يقول: ماذا تنتظر ادخلها الى مستودع الأموات، فنظرت خلفي بدهشة وجسمي يرتجف من شدة الخوف فلم أجد أني أي أحد، إني لا أستطيع، اني حتما خائف، ما هذا ماذا يحدث لي، خارت قواي لحظتها وبدأت عيوني تفيض دموع، حتى حملت نفسي وأخرجت الجثة من السيارة وانا أدفعها بسريرها الطبي الى داخل المستودع، دخلت بها الى الثلاجة فتحت الجوال يا إلهي، إنها جثة الفتاة العشرينية سقطت أرض من الصدمة لابد أن جثتها ملعونة، أو مسكونة أو ما شابه... في بادئ الأمر انقطع خط المرض و بعدها عيونها مفتوحة والأن تدخل مجددا الى المستودع، لم أفهم أي شيء والأحداث تتورى بين لحظات، يا إلهي إنها جثة ملعونة، فتركتها وفتحت الدرج الذي وضعت فيها جثتها الأول فوجدتها كما هيا وانظر خلفي أجد نفس الجثة ولكن هذه المرة ببسمة مريبة وعيون مفتوحة، فجثوت على ركبتي وأنا أبكي وأطلب المغفرة، أنا أسف لم أقصد أن أزعج راحتك، أرجوك سامحيني فتحدث صوت لا أعرف من أين يأتي اللللعنة !!!!!

من أنت؟ ما لدي فعلته لك... دعني وشأني أرجوك... أنا لم أفعل لك أي شيء أنا مجرد موظف ديمومة لا أكثر ... أرجوك دعني وشأني... أنا أسف جدا... إذا فعلت لك أي شيء...

فبدأ الكيان الخفي يضحك بأعلى صوته ويقول: أكمل عملك تفحص الجثة وضعها في الثلاجة أو سننتقل الى مستوى أخر ما رأيك يا عزيزي؟

فلممت نفسي وقلت: حسنا سأفعل ما تريد ...ارجوك لا تغضب يا سيدي أرجوك...

فأخدت أتفحص الجثة بسرعة حتى انتهيت منها وأخذت ألملم ثيابها وأضعها في الدرج داخل الثلاجة

فقال الكيان: ما سبب الوفاة... سيد موظف ديمومة.

قلت وانا أفكر في السبب لأني لم أستحظر عقلي أثناء فحصها: انتحار.... نعم انتحار بجبل...

فقال بضحكته الغريبة: اه حسنا ... وكيف عرفت أنها وقع انتحار امممم...

فتداركت نفسي وأخذت أفكر يا لاهي إني لم أفحصها بجد كنت فقط أتظاهر لكنه سيكشفني فتذكرت الجثة الأول وحديث الدكتور عبد المجيد عن الانتحار وانحصار الدم في الأطراف فقلت له: ألم ترى انحصار الدم في الأطراف، وأثار خنق الحبل على عنقها.

فتنهد قليلا ثم قال: ممم معك حق إنك ذكي جدا... ومتحادق أيضا... وماذا لو قلت لك أن الجثة ماتزال حية...

فقلت مسرعا: حية كيف... كيف لجثة أن تحيا ... هذا لا يمكن... إنها ميتة...

فقال: تأكد بنفسك.

ثم أشار إلى الجثة التي أحاول إدخالها الدرج، فوجهت نظري ناحيتها، فكان الواقع غير المتوقع تماما، جثة ببسمة مريبة وعيون حمراء ينزف منهم الدم تنظر إلي وتقول بكلمات جارحة بالكاد تخرج: لقد حكمت عني بالإعدام وأنا ما أزال حية...

وبدون أي أدنى تفكير تركت الدرج وأخذت اجري من الثلاجة مسرعاً وانا وسط الممر الرئيسي للمستودع الذي أضاءته بعض المصابيح، أجري أحاول الخروج من المستودع بين الأضواء تنطفئ وتشتغل لوحدها، بينما هناك كيان أسود ذو عيون حمراء لا أستطيع أن أوضح ما هوا يركض خلفي، فتوجهت الى الباب الرئيسي للمستودع اضربه بقوة لعله يفتح، حتى تمكنت أخيرا من فتحه فخرجت وصدمة أن هناك سيارة إسعاف أخرى تقف أمام المستشفى، تبا ليوم الجثث هذا فأخذت أسرع في ممر حتى وجدت باب فدخلته وأنا أجري

حتى تداركت الأمر، أنا مرة أخرى في المستودع، اني في دوامة يستحيل أن أخرج منها، "ياربااااه !!! ما الذي يحصل لي"

دوت أصوات مرعبة في المكان بين مزمجره وأصوات بكاء فيما صدح صوت ضحكة مألوفة، للكيان الخفي وهو يقول بنبرته المرعبة: " هل استسلمت، هل تأكدت أنه لا مخرج لك من هذا المكان سوى إتمام اللعبة معي... ما رأيك أن نزيد مستوى أخرى في اللعبة أم أنك استسلمت...

دارت الأحداث في ذاكرتي وأنا أفكر كيف حصل كل هذا... كيف... جثة أستقبلها بدون علم الممرض تتسبب لي في كل هذا... مهلا ما علاقة الجثة الزرقاء بالأمر ... والرسالة على "فايسبوك"... هل هذه خدعة... هل وضع أحد مكبر صوت يصدح بهذه الأصوات... مهلا لما أنا بضبط الذي يحصل لي هذا.... ما علاقة كل هذا بوفاة أمي... هل أصبحت مجنون ... لا يمكن أنا ليست مجنونا... لا يمكن أبدا ... أن أصبح مجنونا... إنها هلوس... لكن كيف ذلك...

وانا في حيرة معاكثرة الأسئلة التي طرحتها على نفسي يقاطعني الكيان قائلا: لا وقت للراحة ... هل نكمل اللعب...

فنظرت في ساعتي اليدوية فوجدتها قد توقفت عن العمل، فقلت في نفسي ربما ضربتها ما أحد الجدران أنا أجري أو شيء كهذا، أخرجت هاتفي من جيب أطمأن على الوقت ربما تكون الثالثة فجرا، وينتهي كل هذا الكابوس، لكنه منطفئ، حاولت تشغيله لكنه لا يعمل، نظرت في الساعة المعلقة على الجدار فوجدتها واقفة عن العمل، أدركت حينها أنه لا مخرج لي سوى إتمام اللعبة، فقط هذا هو الحل الوحيد...

فقلت صارخا: حسنا فل نكمل اللعب.

فضحك ضحكة نصر واتمم: ينتظرك شيء ما في الخارج.

فقلت مرعبا: تقصد جثة أخر.

قال: بطبع ماذا سيكون مثلا هدية، انها ليلة الجثث.

حملت نفسي وتوجهت ناحية باب المستودع الذي تركته سابقا مفتوحا أكملت فتحه على مصرعيه فيما تنتظرني سيارة الاسعاف وحدها امام الباب، فتحت الباب الخلفي وانا ارتعد من شدة الخوف، أخرجت السرير الذي تستلقي عليه الجثة، وأدخلته الى المستودع وصلت الى الثلاجة أزلت الغطاء عن الجثة، فرميت الغطاء وتراجعت خطوات الى الوراء انها الجثة الزرقاء المذبوحة مأكولة الأطراف التي استقبلناها المرة السابقة،

تبتسم ببسمة مخيفة بعيون حمراء، وانا اتدارك الأمر، خفت صوت الكيان، " ألن تفحص جثة، ربما تكون على قيد الحياة وأخذ يضحك..."

فغطيتها مجددا وأدخلتها الى الثلاجة بدون أن ألمسها ما إن انتهيت حتى سمعت صوت مألوفا جدا، إنه صوت سيارة الاسعاف مجددا.

فضحك الكيان وقال: المزيد والمزيد من الجثث...

تحملت نفسي مجددا كي أتم اللعبة لعلي أخرج من هذا الكابوس، فتحت الباب هذه المرة سيارة الاسعاف ليست بمفردها بل معها رجلي الشرطة والسواق فشعرت بسعادة ليس لها مثيل، بل لم أشعر بها في حياتي أخيرا انتهى هذا الكابوس، لقد ظننت أني لن أخرج أبدا من دوامة هذا الكابوس، فقلت لرجلي الشرطة: أنقداني إني في ورطة كبيرة...

فنظرا فيا رجلي الشرطة ولم يستوعبا ما يحصل بل وأطالا نظرهما وانا أحملق في وجدهما لماذا لا يتكلمان، فابتسما بسمة مألوفة مثل بسمة الجثة الزرقاء وناولاني تصريح كتبت بيه " تصريح بإيداع 50 جثة داخل المستودع" فنظرت الى التصريح مطولا فقلت متسائلا: كيف هذا؟

وقبل أن أتمم كلامي وجدت أن كل شيء قد اختفى ما عدا سيارة الاسعاف، فعلمت لحظتها ما ينتظرني ففتحت بابها الخلفي، نفس الشيء جثة فوق سرير طبي أدخلتها الى الثلاجة لتفحصها قبل أن ازيح الغطاء وضعت كل الاحتمالات في عقلي... قد تكون نفس الجثة الزرقاء... أو ربما جثة الفتاة التي أدخلتها مرتين... جثة الثلاثيني مجددا... أو جثة ببسمة مريبة... ربما تكون جثة حية... جثة مذبوحة ... والعديد من الاحتمالات... المهم هو أن أتمم اللعبة...

أزلت الغطاء من الرجلين الى الرأس كي لا أتفاجئ ... فجثوت على ركبتي وأغمي علي من الصدمة... فالجثة هذه المرة خارج كل الاحتمالات... لم تكن جثة عادية بل كانت...

الفصل الأخير

لم تكن الجثة عادية ولا مألوفة، بل خارج كل الاحتمالات لقد كانت.... جثتي أنا ، أنا ميت وعاري تمام، مجرد من كل الثياب، بنفس العلامات التي أحملها وكذا علامات زرقاء على وجهي ربما بسبب ضرب قد تعرضت له، مغمض العينين ومغلق الفم... سقطت أرضا من هول المنظر، لا أعرف ما الذي يحصل لي.

وانا مغمي علي وذاكرتي تستعرض أهم الأحداث التي عشتها بين طفولتي حتى خطوت هذه الخطوة السافلة الى هنا، أيامي الأولى داخل المستودع، تعاملي معا الجثث... العاملين معي ... الممرضين... السيد عبد المجيد... الدكتور حفيظ ... كل شيء حتى وصلت الى هذه الليلة المشؤومة ... صرخات الموتى ... ضحكات الكيان الغريب الذي يدعي أنه الجثة الزرقاء... وكل تلك المفارقات... بدأت أقارن بين كل تلك الأحداث... ولما لا ينام المداومون في المستودع أثناء المداومة ماعدا أنا... ولما لم أقبل أن أغادر المستودع الى قسم أخر كل هذه أسئلة ومفارقات قد جاءت في مخيلتي... وانا افكر في كل هذه الأحداث، انطلقت في الأرجاء موسيقى مرعبة قد عشقتها، تغني على أوتارها فتاة صغيرة بصوت طفولي مجروح يزداد رعب بين كلماتها التي لا أفهمها إنها تغني بلغة لا أفهمها، وانا انصت بتمعن وكأنها تتلوى على مسامعي تعويذة ما، لحظة تذكرت أن صوت الكيان قد اختفى، ففتحت عيني فوجدت فتاة صغيرة قبالتي تردي ثياب بيضاء ملطخة بالدماء، قد دنت مني كثيرا وهي تغني أغنيتها التي عشقتها، فنهضت مبتسما بدون أدنى ذرة رعب أدخلت جثتي الى الثلاجة، وتبعت الفتاة التي راحت تتقدمني وهي تغني بين فينة وأخرى وتتجه نحو باب المستودع، ففتحت لها الباب فوجدت سيارة الاسعاف فابتسمت مجددا، فتقدمت الفتاة الصغيرة ناحية الباب الخلفي للسيارة وأشارت لي بسبابتها أن أفتح الباب، ففتحته فدلفت الفتاة الى دخل السيارة واستلقت فوق السرير الطبي، فعلمت حينها أنها هيا الجثة التي كانت تنتظرني فحملتها في حضني وما يزل صوت أغنيتها يتلى في الأرجاء وضعتها فوق سرير الدرج الخاص بالثلاجة فلممتها بوزر أبيض، وأدخلتها داخل الثلاجة وأنا أبتسم بسعادة لا أعلم من أين لي بها، لما انتهيت من هذه الجثة، توجهت مرة أخرى إلى باب المستودع فتحته فوجدت سيارة الاسعاف نفسها تنتظرني مرة أخرى بجثة جديدة أخرجت الجثة و أخذتها الى الثلاجة جردتها من ثيابها وبدأت أعد الكدمات ثم حملت ورقة وقلم وبدأت أدون وأنا أكلم نفسي... نعم أنها مصابة بكدمات لابد انها تعرضت لعملية قتل أو ربما اعتداء واغتصاب...

الجثة لفتاة ثلاثينية ذات شعر أشقر، بيضاء البشرة ترتدي سروال جينز ضيق من الأسفل وسترة بيضاء، ملابس داخلية سوداء مشبكة ... عليها أثار ضرب وكدمات... لابد أنها قد تعرض لعملية قتل أو ربما اغتصاب...

يجب عرضها على طبيب التشريح، للتأكيد الخبرة الطبية.

ما إن انتهيت حتى وضعتها في الثلاجة وتوجهت ناحية الباب .... جثة أخرى في انتظاري أدخلتها ففحصتها ودونت الملاحظات وادخلها الثلاجة وهكذا دواليك افعل مع كل جثة أدخلها المستودع...

الجثة الأخيرة

ما إن انتهيت من إدخال الجثة حتى توجهت إلى باب المستودع كان الظلام ما يزال دامسا، فتحت الباب وهذه المرة لم تكن أي سيارة إسعاف ولا أي جثة في انتظاري... حتى أغنية الطفلة الجثة قد توقفت ... ضحكة الكيان الجثة توقفت... كل شيء قد توقف... وكل شيء قد انتهى، فابتسمت أخيرا، أغلقت باب المستودع، وتوجهت ناحية الثلاجة وأخدت اخرج الجثث التي وصل عددها تقريبا 56 جثة من داخل الأدراج وواضعتهم في شكل دائري، بينما جلست أنا بمنتصف الدائرة ووضعت جثة الرجل الخمسيني في أحضاني وأخذت أغني له أغنية الطفلة الصغيرة بكلماتها الغير مفهومة، لا أعلم حتى كيف بدأت اغنيها... أغنيها وانا محاط بهؤلاء الموتى الجثث... أو بتعبير أخر محاط بموتى...

موظف الاستقبال ميرفال:

دلفت الى المستشفى هذا اليوم بعد أن وجدت السيد عبد المجيد ينتظرني أمام باب المستودع فقلت له: لماذا تنتظرني أمام الباب... لما لا تتصل بمحمد علي انه مداوم الليلة.

فقال: لقد طرقت الباب مرات عديدة لكنه لا يجيب ... ربما هو نائم.

ففتحت له الباب ودلفت برفقته الى المستودع الذي وجدناه في قمت الفوضى اثار الدم والوحل فيما بعثرت بعض الأدوات والأسرة في كل مكان، تعجبنا من هول المنظر فأخذنا نطمأن على "علي" في غرفة المداومة لكننا لم نجده هناك ... أين هذا الفتى يا ترى؟

وبين فينة وأخرى نبحث عليه حتى سمعنا صوت أحد يشبه الغناء، صوت قادم من ناحية الثلاجة الخاصة بالأموات.

فأسرعنا الى هناك فتحنا الثلاجة فصدمنا بأحمد علي يجلس داخل الثلاجة وعليه أثار الصدمة، عيونه حمراء من أثار البكاء، شعره مبعثر وملابسه المتسخة بالوحل والدم يجلس ويحضن الجثة التي أدخلناها ليلة البارحة ويقول كلمات غير مفهومة وكأنه يغني...

كان هذا أسوء منظر شاهدته منذ عملي هنا كموظف استقبال داخل المستودع ناديت على باقي العاملين وعلى الدكتور حفيظ وأخذنا محمد علي الى المستعجلات بينما أرجعنا الجثة إلى الدرج... حتى نطمأن على صحة محمد علي... راقبنا كاميرات المراقبة فوجدنا محمد علي يقوم بتفحص هاتفه مرات عديدة ثم يخرج الجثة التي أدخلناها الى المستودع الى الخرج ويقوم بإدخالها مجددا الى ثلاجة الموتى... يبدوا أن صديقنا وجثة عانيا كثير البارحة... كان محمد يبكي ويصرخ أحيانا... وأحيانا أخرى يجري في الممرات مثل المجنون تماماً... ثم يعود الى جر الجثة والى إخراجها ويتكلم وكأنه يحدث شخص ما... لكنه لا يوجد أي أحد.

كنت أشاهد كاميرات المراقبة مع الممرض عبد المجيد حين دلف إلينا الحارس فؤاد يجري ويصرخ " لقد استيقظ محمد علي"

حينها علمت أن لغز المعادلة الصعبة قد وجدنا له بداية الحل، الشخص الوحيد الذي سيخبرنا عن الواقعة البارحة هو بطلها محمد.

توجهنا اليه فوجدناه ملقى على سرير طبي، ويبتسم بسمة مريبة على وجه بينما الدكتور حفيظ يجلس بجواره، فقلت: كيف حاله يا دكتور؟

فقال الدكتور حفيظ: إن حالته طبيعية لكنه لم يقل أي كلمة منذ أن أحضرناه الى هنا.

اقتربت منه وأخذت أنظر إلى عينيه اللتين احمرتا بالدموع وقلت: ما بك يا صديقي لم أراك يوم هكذا.

فوجه نظره ناحيتي وأخذ يبتسم أكثر ثم قال أول كلماته: هل وجدتم الكيان الجثة ... كيف حال جثتي التي تركتها هناك ... لقد اشتقت إليها كثيرا...

فقلت له: ماذا حصل لك البارحة؟

فقال بعدما استقرت ملامح وجهه: رسالة الجثة قلبت حياتي رأسا على عقب هذا كل ما في الأمر.

ثم أخذ يفتح هاتفه ويدخل فايسبوك يبحث عن شيء ما لكنه لم يجده، فبدأ يصرخ ويقول: أين هي المراسلة... لقد كانت هنا ... أقسم لكم... إنها رسالة من المستخدم الجثة... أين هيا...

رمى محمد هاتفه حتى اصطدم بالحائط وأخذ يحاول النهوض من السرير فقمنا بتثبته جيدا معا السرير،

فيما نادي الدكتور حفيظ الى طبيب الأمراض النفسية بالمصحة التابعة للمستشفى ليعرض عليه حالة محمد علي جوده.

فتقدمت ناحية الهاتف وحملته وأخذت أبحث عن أي شيء نعرف من خلاله ما حصل لمحمد علي، لأنه في نفسي كنت متأكد أن هناك شيء ما قد وقع ليلتها، لم يظهر لنا في كاميرات المراقبة... فجأة حتى وجدة مراسلة لمستخدم "فايسبوك" دخلت الى المراسلة فوجدت أن جميع الرسائل ثم مسحها ماعدا رسالة واحدة كتب فيها " مرحبا يا صديقي علي كيف حالك؟"

فبحث في قائمة الحظر لعلي أجد شيء يمكن أن يفدنا في معرف ما حصل لصديقي لكني لم أجد أي شيء فقلت ربما يكون المستخدم الأخر قام بحظر علي، وربما يكون مجرد صديق له أكثر... فلم أهتم بالأمر...

دلف طبيب الأمراض النفسية الى غرفة المريض فوجده في حالة يرثى لها، تارة يغني بكلمات غير مفهومة، وثارة يصرخ " إني أقول الحقيقة صدقني" " الجثة هو السبب" إني أكره الجثث" أكرهكم جميعا"كلكم موتى وأنا

حي" تريدني قتلي" تريدون أن تجعلي مني جثة" وتأخذوني إلى ذلك المستودع المسكون" أرجوووووكم أخرجوني من هنا...

فطلب الدكتور أن يتم نقله الى المصحة.

جلسة معا طبيب الأمراض النفسية

الدكتور: ما اسمك يا بني ؟

.المريض: محمد علي جوده... موظف ديمومة بمستودع الأموات... واني ليست مجنونا...

الدكتور: ماذا حصل تلك الليلة؟

.المريض: لا شيء ... لم يحصل أي شيء بتاتاً.

.الدكتور: ربما ترغب في أن تخبرني عن شيء ما ... أنا هنا من أجلك.

.المريض: لا أرغب في أخبارك بأي شيء أيها الميت.

الدكتور: حسنا... يا صديقي هل تخاف من الجثث؟

المريض: نعم ... كثيرا... وأكرهها بشدة.

أخذ الدكتور يدون في مذكراته بضع ملاحظات

التنفس سريع ... عدم انتظام نبضات القلب ... تعرق ...جفاف الفم... ارتعاش ... خوف من الجثث

انتهى الطبيب من تدوين الملاحظات وخلص الى أن صديقنا أصبح مجنونا.

لقد شخص دكتور الأمراض النفسية صديقنا بأنه يعاني من "النيكروفوبيا" على مستوى خطير جدا، يحتاج أن يخضع على إثرها الى علاج نفسي وأن يرقد في المصحة.

وبينما يأخذ ممرضو المصحة النفسية صديقنا الى داخل عنبر المرضى النفسانيين راح يصرخ ويقول:

اسمي محمد علي جوده.... موظف ديمومة بمستودع الأموات... وإنا ليست مجنونا.... صدقوني ... أرجوكم صدقوني...

كلمات ختام

اسألوا شاهد القبر كم ترددت عن زيارته شوقا لروحك الغالية.

وسألوا القبور وسكانها كيف أمضيت بينهم وكأني ميت.

وسألوهم كم ذرفت من دموع الفراق على شواهدهم

ما زرت القبور يوما حتى أضحيت أتردد عليها شوقا

لروحك الغالية.